مقدمة

لم نجد أمَّةً من الأمم اعتنت بعلمائها عناية فائقة كعناية المسلمين بعلمائهم ؛ ترجموا لهم وتحدَّثوا عنهم حديثًا صريحًا مستفيضًا ، دون تحيُّز لهم أو عليهم ، وقد بلغ الأندلسيون فى ذلك شأوًا عظيمًا ، منذ الفتح الإسلامى للأندلس سنة اثنتين وتسعين للهجرة إلى سقوط غرناطة سنة ثمانٍ وتسعين وثمانمائة ؛ أى على مدى ثمانية قرون فى هذه البقعة الصغيرة من العالم الإسلامى .

وقد كان للنحويين واللُّغويين نصيب وافر من هذه العناية ؛ على الرغم من أننا لا نجد كتابًا أُفرد لهم سوى كتاب «طبقات النحويين واللُّغويين» لأبى بكر الزُّبيدى (ت ٣٧٩ هـ) ؛ الذى أرَّخ للنحويين واللغويين عامَّة ، وللأندلسيين خاصَّةً ، وأمَّا غير هذا الكتاب من كتب التراجم والطبقات والمشايخ والمسلسلات والتاريخ فإنهم ترجموا لعلماء اللغة والنحو مع غيرهم من علماء الفقه والحديث والقراءات وغير ذلك.

وإذا أردنا تتبُّع بواكير الفكر اللغوىّ والنَّحوىّ فى الأندلس فإننا لا نكاد نجد أىَّ لون من ألوان هذا الفكر خلال السنوات الأولى التى أعقبت فتح المسلمين للأندلس ، بل لا نكون مبالغين إذا قلنا إننا لا نكاد نجد أىّ لون من ألوان الحياة الفكرية فى الأندلس طوال عصر الولاة (٩٦ هـ - ١٣٨ هـ) ؛ فقد تعاقب فيه على ولاية الأندلس ثمانية عشر واليًا فى اثنتين وأربعين سنة .

ولعلَّ أول كتاب وصل إلينا مطبوعًا يؤرِّخ **لرجال الأندلس**(*) هو كتاب: «قضاة قرطبة» لأبى عبد الله محمد بن حارث بن أسد القيروانى الخُشنى (ت ٣٦١ هـ) ،

(*) إنَّ أول من أرَّخ للأندلس عبد الملك بن حبيب السلمى (ت ٢٣٨ هـ) الذى كتب فى تاريخ الخليقة عامة، وفى قضاة الأندلس خاصةً ، تلاه أولاد الرازى : محمد بن موسى الرازى (ت ٢٧٣ هـ) وابنه أحمد (ت ٣٢٤ هـ) ثم عيسى بن أحمد ثم محمد بن حارث الخشنى فى كتابيه : «قضاة قرطبة» و «أخبار الفقهاء والمحدِّثين» ثم ابن القوطية (ت ٣٦٧ هـ) فى كتاب مشكوك فى نسبته إليه بعنوان «تاريخ افتتاح الأندلس» . حول بواكير التأريخ الأندلسى انظر : تاريخ الفكر الأندلسى : بالنثيا ترجمة د. حسين مؤنس ، والمقدِّمة التى كتبها أستاذنا الدكتور محمود على مكى للقطعة التى نشرها من كتاب «المقتبس لابن حيان القرطبى» .

وقد أرَّخ هذا الكتاب لمن تولّوا القضاء فى قرطبـة ، وليس فيه ما يشير إلى أنهم كانوا نحاةً أو لُغويـين ، وأقصى ما أشار إليه الخـشنى فى مجال اللغة أنه قـال عن القاضى الفـرج بن كنانة الكنانى : «وكـان من أهل العلم والتقـيـيد ، وكـانت له رحلة إلى المشرق» ص ٤٠ . وقال عن القـاضى سليمان بن أسود الغـافقىّ : «كان له حظٌّ من علم الأدب ، وربما صنع الأبيـات من الشِّـعـر فخـاطب بهـا الخلفـاء والخاصـة من الإخوان» ص ٧٤ . وقال عن القاضى النَّضْر بن سلمـة الكلابى : «وكان متصرِّفًا فى علم الأدب ، وكان - فيمـا بلغنى - ربما قال من الشِّعر شيئًـا يخاطب به الأمير ومَنْ كان مِـنْ طبقة الخـاصَّة» ص ٩٣ . وقـال عن القاضـى محمـد بن عبـد الله بن أبى عيسى: «وله نصـيب وافر من الأدب ، وحظ كامل من البلاغة ، مخـاطبًا بلسانه ، ومكاتبًا بقلمه» ص ١٢٠ .

أمَّا الكتاب الـثانى فهو كتـاب «أخبار الفقـهاء والمحدِّثين» للخشنى نفـسه ، وقد خصَّصه للحديث عن فئتين من علماء الأندلس هما : الفقهاء ، والمحدِّثون .

وقد بلغ مـجموع الذين ترجم لهم الخشنى فى الـكتاب عامَّةً خـمسمائة وسـبعة وعشرين فقيهًا ومحدِّثًا ، كان من بينهم اثنان وثلاثون فقيهًا ومحدِّثًا لهم اهتمام باللُّغة والنَّحو والتأديب بالعربية .

ولم يكن الاهتمـام باللغة والنَّحو إلا وسيـلة للتعمُّق فى الفقـه وعلم الحديث ؛ ولذا ظلَّت اللغة بمنأى عن الصفوف الأولى فى القـرنين : الثانى والثالث الهجريين ، ولم يبزغ نجمها إلا فى القرن الرَّابع الهجرى .

وأكبر دليل على أن الاهتمام باللُّغة والنَّـحو فى ذلك الوقت وتَرْك الاهتمام بالفقه والحـديث كـان معـيبًا ما ذكـره الخُـشَنى أنَّ اللُّغـوى محمـد بن عبـد السَّـلام الخشنى (ت ٢٨٦ هـ) كان قد شُهِر فى أول قدومه من المشـرق باللُّغة والفصاحة ؛ فشق ذلك عليه وغمَّه ، وترك بعد ذلك قراءة اللغة ، وانصرف إلى قراءة الحديث .

وقد رتَّب الخُـشنى (ت ٣٦١ هـ) كتابه هذا ترتيـبًا هجائيًّا مغربيًّا، وتراوحت الترجمات بين الطول والقصر ، وقد نشر الكتاب المحققان : ماريا لويسا آبيلا ولويس

مولينا في مدريد سنة ١٩٩٢ م ، وفي طبعة معظمها بياض ؛ فقد اعتمدا على نسخة وحيـدة في مكتبـة الأسكوريال غيـر كاملة ، وبهـا خروم ورطوبة ؛ ذكـرا ذلك في المقدِّمة .

أمَّـا الكتـاب الثالـث الذي وصل إلينا هو أهمّ الكتب حـتى نهـاية القـرن الرَّابع الهجري بقليل ؛ وهو كتاب «طبقات النَّحويين واللغويين» لأبي بكر محمد بن الحسن الزُّبيدي (ت ٣٧٩ هـ) ، ولم يكن هذا الكتاب خالصًا للنَّحويين واللغويين الأندلسيين فحسب ، وإنما تناول النَّحويين واللغويين المشارقة أيضًا ، وقد جعلهم طبقات بَدْءًا من أبي الأسود الدؤلي (ت ٦٩ هـ) وانتهاءً بأسـتاذه مـحمد بن يحـيى بن عبـد السَّلام الرَّباحي (ت ٣٥٨ هـ) .

وقد فصل الزُّبيدي بين النَّحويين واللغويين ، وقدَّم النحويين على اللغوين ، وبدأ بنحاة البصـرة وجعلهم عشر طبـقات ، ثم نحاة الكوفة وجعلـهم ست طبقات ، ثم جعل لغوي البـصرة سبع طبقـات ، ولغوي الكوفة خمس طبـقات ، ثم انتقل إلى المدرسة المصرية فجمع بين النَّحويين واللُّغـويين وجعلهم ثلاث طبقات ، ثم انتقل إلى النحويين واللُّغويين القرويين ؛ أهل القيروان ، وجمع بينهما وجعلهما أربع طبقات.

وقد ختم الكتاب بالنَّحويين واللغويين الأندلسـيين ، وجمع بينهما وجعلهما ستّ طبـقات ، بدءًا من أبي مـوسى الهوَّاري وانتـهاءً بأسـتاذه الرَّباحي ، وبلـغ مجـموع النَّحويين واللغويين الأندلسيين الذين أرَّخ لهم الزُّبيدي مائة وثلاثة .

ويُعـدُّ كتـاب الزُّبيدي هـو المرجع الأوَّل لدراسة الجـهود اللـغوية والنحـوية في الأندلس حـتى وفاته سنة (٣٧٩ هـ) ؛ فـهو الوثيـقة الأولى التي تسـجِّل لنا بواكـير النهضة اللغوية في الأندلس حتى قُبيل نهاية القرن الرَّابع الهجري .

أمَّا الكتـاب الرَّابع الذي وصل إلينا بعد كتاب الزُّبيـدي فهو كتـاب «تاريخ علماء الأندلس» لأبي الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف الأزدي الفَرَضي (ت ٤٠٣ هـ) ؛ وهو كتاب جمع فقهاء الأندلس وعلماءهم ورواتهم حتى نهاية القرن الرَّابع الهجري، رتَّبه ابن الفرضي ترتيبًا هجائيًّا مشرقيًّا بدءًا بالهمزة وانتهاءً بالياء معتمدًا على مجموعة

الأسمـاء التى تبدأ بحـرف واحد ؛ فقـد بدأ بمن اسمـه إبراهيم ، وانتهى بمن اسـمه يونس، وجـعـل كـتـابه أبوابًـا ، وبعـد كلّ باب يذكـر الغـربـاء عن الأندلس الذين استوطنوها ، ثم يذكر الأفراد الذين ينتمون للباب ؛ دون أن يجمعهم اسم واحد .

وقد قـصد ابن الفرضى من كـتابه أن يرصد فيـه علماء الفقـه ورواة الحديث من الأندلسيين الذين عاشوا فى الأندلس، أو رحلوا عنها ، أو رحلوا إليها واستوطنوها.

جمع ابن الفرضى فى كتابه كلّ ما سبقه من مُؤلَّفات فى تاريخ علماء الأندلس ، وأهميته تأتى من حيث إن هذه المؤلَّفات لم تصل إلينا ؛ ككتـاب فقهاء قرطبة لأحمد ابن عبد البـرّ (٣٣٨ هـ) ، وتاريخ عبد الملك بن حبـيب (ت ٢٣٨ هـ) ، ومؤلَّفات أسرة الرازى ، وتاريخ خـالد بن سعد ، وتاريخ ابن مُـفْرِج الذى جمـعه للمسـتنصر بالله.

وقد بـلغ عدد العلمـاء الذين ترجم لهم ابن الفرضى فـى تاريخه ألفًـا وستمـائة وواحدًا وخمسين عالمًا (١٦٥١) ، كان نصـيب اللُّغويين والنَّحويين من هذا العدد مائة وثلاثين نحويًا .

وقد اسـتوعب ابن الفرضى فى كـتابه معظم مـن ذكرهم الزُّبيدى فى طبـقاته ، وأضـاف إليهم مـا يقـرب من أربعين عالمًـا من علماء اللُّغـة والنَّحـو فى الأندلس . وهؤلاء النحويون الذيـن ترجم ابن الفرضى لم يقتـصر نشاطهم العلـمى على النَّحو وحده ، وإنما جمعوا بين النَّحو واللغة والغريب والفرائض والحديث والحساب وقرض الشِّعر وشرح معانيه .

أمَّا القرن الخامـس الهجرى فقد وصل إلينا فيـه ثلاثة كتب تؤرِّخ لرجال الأندلس بما فيهم الـنحويون واللغويون ، أولها كـتاب «طبقات الأمم» لأبى القـاسم صاعد بن أحمـد الأندلسى (ت ٤٦٢ هـ) الذى ذكر فضـل الأمم وشهرتهـا ، وفضل الأندلس وأشهر علمائها فى فنون متعدِّدة . وثانيها كتاب «المقتبس فى أنباء أهل الأندلس» لابن حيان القرطبى (ت ٤٦٩ هـ) ؛ وهو كتاب كبير ، لم يصل إلينا منه إلا ثلاث قطع ؛ نشر د. مـحمود على مكى قطعـة ، ونشر د. عبـد الرحمن الحجى قطعـة أخرى ،

والقطعة الثالثـة نشرها الأب ملتشور أنطونيا . وثالث هذه الكتب وأهمـها فى أواخر القرن الخامـس الهجرى كتاب «جـذوة المقتبس فى ذكر ولاة الأندلـس» لأبى عبد الله محـمد بن أبى نصر فـتُّوح بن عبـد الله الأزدى الحُمَيْـدى (ت ٤٨٨ هـ) ، والكتاب يترجم لرجال الفـقه والحديث والأدب واللُّغة ، بدأه بمقـدِّمة تاريخية تناول فيـها فتح الأندلس على يد طـارق بن زياد ، وحُكَّام الأندلس حـتى منتـصف القـرن الخـامس الهجرى ، وقد رتَّب كتابه ترتيبًا هجائيًا مشرقيًا مع البدء بمن اسمه محمد تبرُّكًا برسول الله ﷺ ، وقـد نهج فى كتـابه نهج ابن الفـرضى فى «تاريخ علمـاء الأندلس»؛ ولكنه أضاف عليه إضافات جديدة ، فقد ذيَّل كتابه بعدة أبواب لا وجود لها عند ابن الفرضى ؛ وهى : باب من ذُكر بالكُنية ولم يُتـحقَّق من اسمه ، وباب من نُسب إلى أحد آبائه ولم يُعلم اسمـه ، وباب من ذُكر بالنسبة ، وباب من ذُكر بالصِّـفة ، وختم كتابه بباب النِّساء .

وقد بلغ مجموع العلماء الواردين فى هذا الكتاب تسعمائة وسبعة وثمانين عالمًا ، بلغ حظُّ النحويين واللغويين الأندلسيين من هذا العدد مائة وستة .

أمَّا القرن السـادس الهجرى فقد بلغ عـدد المؤرِّخين فيه سبـعة ؛ أولهم أبو نصر الفتح بن محمد بن عُبيد الله القـيسى الإشبيلى المعروف بابن خاقان (ت ٥٢٩ هـ) فى كتـابين هما : قلائد العـقيان ومـحاسن الأعيـان ، وكتاب «مطمح الأنفس ومـسرح التأنُّس فى مُلح أهل الأندلس» ، وقد ركَّز فيهـما ابن خاقان على الأدباء والشعراء ، أمَّا كتابه: قلائد العقيان فقد قـسَّمه إلى أربعة أقسام ، جعل القسم الأول فى محاسن الرؤساء وأبنـائهم، وجعل القسـم الثانى للوزراء والكُتَّـاب والبُلغاء ، وجعـل القسم الثالث لأعيان القضـاة والفقهاء وأعلام العلماء ، وجعل القسم الـرابع والأخير لنبهاء الأدباء وفحول الشعراء، وقد بلغ مجـموع الذين ترجم لهم فى كتابه هذا ثمانين علمًا من أعلام الأندلس ، من بينهم تسعة عشر نحويًا أندلسيًا .

وثانيـهم أبو الحسن على بـن بسَّام الشنتـرينى (ت ٥٤٢ هـ) فى كـتابه الشـهيـر «الذخيـرة فى محاسن أهل الجـزيرة» ؛ أى جزيرة الأندلس ، وقـد قسَّمـه إلى أربعة

أقسام : خـصَّص القسم الأول منه لأهل حضرة قـرطبة وما يصاقبـها ، وقد بلغ مَنْ ترجم لهم فيه أربعة وثلاثين عالمًا ، من بينهم عشرون نحويًّا ، أمَّا القسم الثانى فقد خصَّصـه لأهل الجانب الغربى من الأندلس وإشبيـلية ، بلغ مجموع هذا القـسم ستة وأربعين عالمًا ، وكان حظ النحويين من هذا القسم ثلاثة فقط ، أمَّا القسم الثالث فقد خصَّصه لأهل الجانب الشرقـى من الأندلس ، وبلغ مجموع هذا القسم ثلاثة وثلاثين عالمًا ، منهم أربعة نحـويين فقط ، أمَّا القسم الرابع والأخير فـقد أفرده ابن بسَّام لمن طرأ على الأندلس من أديب شاعـر ، وأوى إلى ظلِّها من كاتب ماهر ، واتسع فـيها مجاله ، وحُـفظت فى ملوكها أقواله ، وقد بلغ عـددهم اثنين وثلاثين عالمًا وأديبًا ، من بينهم خمـسة نحويين فـقط ، وبذلك يكون مجمـوع من ترجم لهم ابن بسَّام فى الذخيرة عامّةً مائة وخمسة وأربعين عالمًا ، من بينهم اثنان وثلاثون نحويًّا فقط .

وثالثـهم أبو محـمد عـبد الحقّ بـن عطية المحـاربى الأندلسى (ت ٥٤٢ هـ) فى فهـرسه الذى ذكر فيـه شيوخه ، الذين بلغ عـددهم ثلاثين شيخًـا ، وكان من بينهم أربعة فقط من النَّحويين واللغويين .

ورابعهم أبو الفضل عيـاض بن موسى بن عياض بن عمرون اليـحصبى المعروف بالقاضى عـياض (ت ٥٤٤ هـ) فى كـتابين من كتـبه هما : «ترتـيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مـذهب مالك» ، وفهرسته المعروفة بالغُنْيـة ، وقد امتلأ الكتابان بالنحويين واللغويين الذين كانوا على مذهب الإمام ، فـفى كتابه «الغُنْية» بلغ مجموع شيوخه فيه ثمانية وتسعين شيخًا ، منهم واحد وثلاثون شيخًا فى النَّحو واللُّغة .

وخامسهم أبو بكر محمد بن خيـر بن عمر بن خليفة الإشبيلى (ت ٥٧٥ هـ) فى فهرسة ما رواه عن شيـوخه ، وقد اتبع ابن خير فى كتابه منهجًا غيـر مسبوق ، فقد رتَّب كتابه على أساس الكتب التى سـمعها من شيوخه ، متتـبعًا سلسلة النقل المتواتر من زمن تأليف الكـتاب إلى زمنه ، بـحيث يُعـرف الكتـاب ومـؤلفـه ومَنْ نقله إلى الأندلس جيلاً بعد جيل حتى زمن ابن خير . وقـد بلغ مجموع الكتب المتعلِّقة باللغة والنحو الواردة عنده ثمانيـة وثلاثين كتابًا ، وقد بلغ مجمـوع النحويين واللغويين فى فهرسة ابن خير ثلاثة وعشرين أستاذًا نحويًّا ولُغويًّا . .

وسادسهم أبـو القاسم خلف بن عبد الملك بن بشكوال (ت ٥٧٨ هـ) فـى كتابه الشهير «الصِّلة» الذى وصل به كتاب «تاريخ علماء الأندلس» لابن الفرضى ، فجاءت تراجمـه معظمه من بداية القرن الخـامس إلى منتصف القرن السادس ، وقـد فرغ من تأليفه سنة خمـسين وخمسمائة ، وقد بلغ مجـموع الذين ترجم لهم ابن بشكوال ألفًا وخمسمـائة وواحدًا وأربعين عالمًا فى علوم شتى ، وكان نصـيب النَّحويين واللغويين من هذا المجموع ثلثمائة وسبعة وستين عالمًا من علماء النَّحو واللغة .

وسابعـهم وخاتمة القرن السادس الهـجرى أحمد بن يحـيى بن أحمد بن عُـميرة المعروف بالضَّبى (ت ٥٩٩ هـ) فى كتابه «بُغـية الملتمس فى تاريخ رجال الأندلس» ، ومعظم ما ورد فيه من تراجم قد وردت فى الكتب التى سبقته ، وقد قصد الضَّبى فى كتـابه أن يُكمل كـتاب «جذوة المقـتبس» للحُـميـدى الذى وقف فى التأريـخ لرجال الأندلس عند سنة أربعـمائة وخـمسين للهـجرة ، وقـد سار الضـبى فى الطريق التى رسمها الحميدى ولم يخرج عنها ، وقد بلغ مجموع الذين ترجم لهم فى «البغية» ألفًا وخمسمائة وثمانية وتسعين عالمًا ، كان من بينهم مائة وسبعة وسبعون نحويًا أندلسيًا، ومعظم تراجم هؤلاء النحويين فى المؤلفات التى سبقت الضَّبى .

أمَّا القرن السابع الهـجرى فقـد بلغ عـدد المؤرِّخين فيه سبـعة ، أوّلهم : محمـد ابن على بن عُبيد الله بن الأخضر بن هارون الغسَّانى أبو عبد الله المعروف بابن عسكر (ت ٦٣٦ هـ) فى كتابه «أعلام مالقة» الذى أكمله ابن أخته محمد بن محمد بن على ابن خميس أبو بكر (ت نحو ٦٥٠ هـ) .

وثانيهم عبد الواحد المُرَّاكشى (ت ٦٤٧ هـ) فى كتابه «المعجب فى تلخيص أخبار المغرب» ، وأمَّا ثالثهم وأهمهم فى هذا القرن محمد بن عبد الله بن أبى بكر القضاعى المعروف بابن الأبَّار (ت ٦٥٨ هـ) فى أربعـة كتب من كتبه : «كـتاب التكملة» الذى أكمل به كتاب «الصِّلة» لابن بشكوال ، وقـد رتَّبه ابن الأبار ترتيبًا هجائيًا مغربيًا ، ولكنه اقتدى بمن سـبقه من المؤرخين الأندلسيين ، فبـدأ كتابه بمن اسمه أحمـد تبرُّكًا برسول الله ﷺ ، وقد بلغ مجمـوع الذين ترجم لهم ابن الأبَّار فى كتابه «التكملة»

ثلاثة آلاف وستمائة وسبعة من العلماء الأنـدلسيين ، وهو عدد كبير بالقياس إلى من سبقه ، وقد كان حظّ النحويين واللغـويين من هذا العدد الكبير ثلثمائة واثنين وأربعين نحويًا ، وهو عدد قليل بالمقارنة بمجموع من ترجم لهم .

ولابن الأبّار - إلى جانب «التكملة» - ثلاثة كتب تؤرِّخ لعلماء الأندلس بما فيهم النحـويون واللغويون ؛ وهذه الكتب هى : «الحُلَّـة السِّيَراء» ، وكـتاب «المعـجم فى أصحاب القاضى أبى على الصَّدفى» ، وكتاب «إعتاب الكُتَّاب» .

وأمَّا رابعهم فهـو علـى بن محمـد بن عبد الرحمـن الإشبـيلى المعروف بالرُّعينى (ت ٦٦٦ هـ) فى برنامج شيوخه ، الذى اشتمل على عدد من النَّحويين واللُّغويين .

وأمَّا خامـسهم فهو على بن مـوسى بن عبد الملك الأندلسى المعروف بابن سـعيد (ت ٦٨٥ هـ) فى أربعة كتب من كتبه هى : «المُغْرِب فى حُلى المَغْرِب» .

وقد بلـغ مجمـوع الذين تُرجِم لهم فى هذا الكتـاب ستـمائة واثنتين وخـمسين ترجمـة ما بين شاعر وأديـب ورئيس وعالم ، كان حظُّ النحـويين واللُّغويين من هذا العدد إحدى وثلاثين ترجمة .

ولابن سعيد أيضًا : «رايات المبرَّزين وغايات الممـيَّزين ، وكتاب «الغصون اليانعة فى محاسن شعراء المائة السابعة»، وكتاب «اختصار القدح المُعلَّى فى التاريخ المُحلَّى».

وأمَّا سادسهم فـهو عُبيد الله بن أحمـد بن أبى الربيع أبو الحسين (ت نحو ٦٨٠ هـ) فى برنامجه الذى ذكر فيه شيوخه وأساتذته .

وأمَّا سابعهم وخاتمة القرن السابع الهجرى فـهو أبو جعفر أحمد بن الزُّبير الثقفى العاصـمىّ الغرناطىّ (ت ٧٠٨ هـ) فى كتابه «صلـة الصلة» الذى أراد به أن يستكمل حركة التأليف الأندلسى فى الترجـمة لعلماء الأندلس ، والتى بدأت مع ابن الفرضى وابن بشكوال فى الصِّلة ، فـجاء ابن الـزُّبير ليـتمّ كتـاب «الصِّلة» ، وقد رتَّبـه على حروف المعجم حسب ترتيب المعجم عند المغاربة ، وقد بلغ مجموع الذين ترجم لهم ابن الزُّبير فى المطبوع من صلة الصلة ألفًا وستًّا وسبعين ترجمة ، وكان حظ النحويين واللغويين من هذا العدد أربعمائة وستين نحويًا ولُغويًا .

أمَّا القرن الثامن الهجرىّ فقد بلغ عدد المؤرِّخين فيه تسعة مؤرِّخين : أولهم أحمد ابن أحمـد بن عبد الله أبـو العبَّاس الغـبرينى (ت ٧١٤ هـ) فى كتـابه «عنوان الدِّراية فيمن عُرف من العلماء فى المائة السابعة ببجاية» .

وثانيهم عبـد الواحد بن محمـد بن عبـد العـزيز الـتونسـى المعروف بابن الطوَّاح (ت ٧١٨ هـ) فى كتابه «سَبْك المقال لفك العقال» وهو ترجمـة لعدد من الأعلام فى القرنين السابع والثامن الهجريين .

وثالثهم القـاسم بن يوسف التُّجـيبى السَّبـتى (ت ٧٣٠ هـ) فى رحلته الشهـيرة «مُستفاد الرِّحلة والاغتراب» ، وقد نشـر قطعة منها د. عبد الحفيظ منصور فى تونس سنة ١٩٨١ م ، وبرنامجه الذى ذكر فيه شيوخه .

ورابعهم محـمد بن محمد بن عبـد الملك الأنصارىّ المُرَّاكشى (ت ٧٣٣ هـ) فى كتابه الشهير «الذَّيل والتكملة لكتابى الموصول والصِّلة» ؛ يعنى بالموصول كتاب «تاريخ علماء الأندلس» لابن الفرضى ، ويعنى بالصِّلة كتاب «الصِّلة» لابن بشكوال .

وقد رتَّب ابن عبـد الملك كتابه هذا على ترتيب حروف المعـجم المشرقى ، ولكنه بدأ فى حرف الهمزة بمن اسمه أحمد ، وفى حرف الميم بمن اسمه محمد تبرُّكًا بموافقة هـذين الاسـمين اسمىْ النبـى ﷺ ، وقدَّم فـى باب العين مـن اسـمه عـبـد الله وعبد الرحـمن ؛ لأنهما أحبّ الأسماء إلى الله ، ووسَّـط بينهما من اسمه عُـبيد الله لشرف الإضـافة ، ومن اسمـه عبد الرحيـم لاشتراكه مع عبد الـرحمن فى الاشتقاق من الرحمة .

ولم يكن هذا الكتاب خـالصًا للنحويين واللغويين وحدهم ؛ وإنمـا اتبع فيه سَنَن من قبله فى التأريخ لعلماء الأندلس فى جميع المجالات .

ويقع الكتاب فى ثمـانية أسفار ، نشـر السِّفر الأول فى قسـمين وحقَّقه الـعلاَّمة المغربى محمد بن شـريفة ، ونشر المرحوم العلاَّمة د. إحسان عبَّاس قسمًا من السِّفر الرابع ، وكـذلك السِّفـر الخـامس كاملاً فـى قسـمين ، والسـادس كـاملاً ، ثم نشر

د. محمد بن شريفـة السِّفر الثامن والأخير ، وما زال السِّفـر : الثانى والثالث وقسم من الرابع والسابع فى حكم المفقود .

وخامسهم أبو عـبد الله محمد بن جابر بن محمـد بن قاسم القيسى الوادى آشىّ (ت ٧٤٩ هـ) فى برنامجه الشهـير «برنامج الوادى آشى» ، وقد نشره وحقَّقـه محمد محفوظ ، عن دار الغرب الإسلامى ، بيروت .

أمَّا سادسهم وأهمـهم فى هذا القرن لسان الدين أبو عبد الله محـمد بن عبد الله السلمـانى ، المعـروف بلسـان الدِّين الخطيب (ت ٧٧٦ هـ) مـؤرِّخ الأندلس عـامَّـة وغرناطة خاصة فى القرن الثامن الهجرى فى موسوعته الشاملة : «الإحاطة فى أخبار غرناطة» ؛ الذى يؤرِّخ لمدينة غـرناطة منذ نزلها العرب الأوائل وأخبـار من كان بها ، ومن نزلها أو مـرَّ بها من الكُتَّـاب والشعـراء والأدباء والعلماء والوزراء فى مـختلف عصور التاريخ الأندلسى ، ويضمّ كتاب «الإحاطة» زهاء خمسمائة ترجمة .

وقد رتَّبه ترتيبًا هجائيًّا مشرقيًّا غير أنه لم يلتـزم الدِّقة فى هذا الترتيب ، وبدأ تراجمه بمن اسمه أحمد اقتداءً بمن سبقوه ، وقد ألزم نفسه منهجًا صارمًا فى كلِّ عالم أندلسى يُترجم له ؛ فهـو يذكر العالم ، وحاله ، ومناقبـه ، ونباهته ، ومشيـخته ، وأوليته ، ومؤلَّفاته ، ومولده ، ووفاته .

أمَّا كـتابه «الكتيبـة الكامنة فيمن لـقيناه بالأندلس من شعـراء المائة الثامنة ، فلم يترجم فيه إلا لخمسة من النحويين الأندلسيين الذين اشتهروا فى غرناطة بالشعر .

وأمَّا سابعهم فهو أبو الحـسن بن عبد الله بن الحسن النُّباهى المالقى (ت ٧٩٣ هـ) فـى كتـابه «تاريخ قضـاة الأندلس ، أو كتـاب المرقبـة العليا فـيمن يستحـقّ القـضاء والفُتْيا» ، والكتاب - فى الحقيقـة - يترجم لقضاة الأندلس ، وذكر النُّباهى أربعة من هؤلاء القُضاة لهم اهتمام بالنَّحو واللغة .

وثامنهم الإمام الـقاضى إبراهيـم بن نـور الدِّين المعـروف بابن فـرحـون المالكىّ (ت ٧٩٩ هـ) فى كتابه «الديِّباج المُذْهَب فى معـرفة أعيان المذهب» ، وهو يبحث فى أعلام فقـهاء المذهب المالكى فى شمال إفـريقيا والأندلس ، وقد رتَّبـه ترتيبًا هجائيًّا

مشرقيًا على حروف المعجم ، ولكنه افتتح كتابه بمن اسمه «أحمد» تبرُّكًا برسول الله ﷺ ، والكتاب فى حقيقته تلخيص واختصار لكتاب «ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك» للقاضى عياض ، ولكن القاضى عياض رتَّبه على الطبقات على غرار طبقات النحويين واللغويين لأبى بكر الزُّبيدى .

وتاسعهم وخاتمة القرن الثامن الهجرىّ ابن الأحمر (ت ٨٠٧ هـ) فى كتابين له هما : «نثر الجُمان» ، و«نثير فرائد الجمان» وقد نشرهما المرحوم د. محمد رضوان الدَّاية ، ولم يترجم ابن الأحمر فى كتابيه إلا لسبعة من النحويين ، وبقية الترجمات للأدباء والشعراء والعلماء فى القرن الثامن الهجرى .

ولم أعثر فى القرن التاسع الهجرى - قبل السقوط - على كتبٍ ترجمت لعلماء الأندلس سوى برنامج أبى عبد الله محمد المجارى الأندلسى (ت ٨٦٢ هـ) الذى اقتصر فيه على ذكر شيوخه الذين تتلمذ لهم .

أمَّا بعد سقوط الأندلس سنة ٨٩٨ هـ فقد وجدت عددًا من المؤرِّخين الذين تحدّثوا عن علماء الأندلس وغيرهم ، أولهم أبو العباس أحمد بن محمد المكناسى المعروف بابن القاضى (ت ١٠٢٥ هـ) فى كتابين : «جذوة الاقتباس فيمن حلَّ من الأعلام مدينة فاس» ، وكتاب «دُرَّة الحجال فى غرَّة أسماء الرجال» ، وهو استكمال لكتاب «وفيات الأعيان» لابن خلكان .

وثانيهم أحمد بابا التنبكتى (ت ١٠٣٦ هـ) فى كتابه «نيل الابتهاج بتطريز الدِّيباج» ؛ وهو استكمال لكتاب «الدِّيباج المذهب» لابن فرحون ، وأمَّا خاتمة مؤرِّخى الأندلس وأهمهم بعد السقوط فهو أحمد بن محمد المقَّرى التلمسانىّ (ت ١٠٤١ هـ) فى ثلاثة كتب من كتبه هى : «نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدِّين بن الخطيب» ، وكتابه «أزهار الرِّياض فى أخبار عياض» ، وكتابه «روضة الآس العاطرة الأنفاس فى ذكر من لقيته من أعلام مراكش وفاس» .

وقد استعنت بالمؤلَّفات المشرقية التى أرَّخت لعلماء اللغة والنحو فى الأندلس مع غيرهم من العلماء ؛ أو التى خُصِّصت للنحويين واللغويين عامةً وللأندلسيين خاصةً؛ كوفيات الأعيان لابن خلكان ، وفوات الوفيات لابن شاكر الكتبى ، والوافى بالوفيات

للصلاح الصفدى ، ونكْت الهميـان له أيضًا ، وإنباه الرواة فى أنباه النحاة للقفطى ، وطبقـات النحويين واللغويين لابن قـاضى شهبـة ، وإشارة التعـيين فى تراجم النُّحاة واللغويين لعـبد الباقى بن عبـد المجيد اليمـانى ، والبلغة فى تراجم أئمة اللغـة لمجد الدين الفيـروزابادىّ ، ومؤلَّفات الـذَّهبى مؤرِّخ الإسلام ، وبغـية الوعاة فى طبـقات اللغويين والنحاة للسيوطى وغيرها .

ويهدف هذا العمل إلى حصر علمـاء اللغة والنَّحو فى الأندلس منذ بواكير الفكر النَّحـوى فى القـرن الثانى الـهجـرى إلى سـقوط الأندلـس فى نهاية القـرن التـاسع الهجرى، وقد رتَّبته ترتيبًا هجائيًّا مشرقيًّا ، وحرصت على أن أذكر اسم المترجَم له كاملاً من مصـادره الموثَّقة مشفوعًا بتاريخ الوفاة ، ثم فى متن التـرجمة حرصت على ذكر ما يتميز به هذا النحوىّ أو اللغوىّ ، ولـقبه ، وكنيته ، أو النبذة التى كان يُعرف بها بين أبناء عصره ، كما ركـزت على ذكر شيوخه الذين روى عنهم أو أجازوا له ، وتلامـيـذه الذين رووا عنه وأجـاز لهم ، والوظائف التى تولاَّها من قـضـاء ووزارة وكتابة .

كمـا حرصت على ذكر مـولده ووفاته زمانًـا ومكانًا قدر الاستطاعـة . وأفردت مساحة مستقلّة لمؤلَّفات المُتـرْجَم له ، وبيان المطبوع منها والمخطوط والمفقود فى حدود علمى ومعرفتى .

ثم أعقـبتُ كلّ ترجـمة بالمصادر الـتى يمكن الرجوع إليـها فى التـرجمـة لها ، وحاولت - قدر جهدى - ترتيب هذه المصادر ترتيبًا تاريخيًّا بدءًا بالأقدم ثم الأحدث .

ويعلم الله كم بذلت مـن الجـهـد والوقت فـى جمـع هـذه المادة وتصـحيحـها ، ولا أدَّعى لنفـسى أننى أصبت المحزَّة ، ولكـننى بذلت أقصـى الجـهـد فإن أصـبـت فمـن الله ، وإن أخطأت فمن نفسى.

وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب .

د. رجب عبد الجواد